

فقدان اللغة في بنية العنف: السجن بوصفه نموذجاً

أماني سراحنة، فلسطين

في محاولتي الجديدة في الكتابة عن الأسرى الفلسطينيين في زمن الإبادة، يحضر الشهيد وليد دقّة¹ بوصفه مرجعية فكرية لا غنى عنها لقراءة التحوّلات العميقة التي أعقبت هذه المرحلة، والتي شكّلت السجون "الإسرائيلية" أحد أكثر ميادينها كثافةً وقسوة. لا يعود حضور دقّة إلى كونه مفكراً استطاع بلغته التحليلية تفكيك البنية الكامنة للعنف في فضاء الزنازين فحسب، بل لأنه بلغ، في كتاباته، تخوم قراءة ما سيأتي قبل أن يتشكّل في الواقع، حتى غدت رؤيته، بأثر رجعي، أشبه بنبوءة فكرية تستعيدها أسئلنا الراهنة عن فلسطينيتنا وعن شروط وجودنا تحت نظام استعماري إحلالي. ومن هنا تبرز ضرورة إبقاء فكر دقّة حاضراً في كل محاولة للكتابة عن تجربة الأسر، ليس فقط تقديراً لما خلفه من إرث معرفي، بل بوصفه ضرورة أخلاقية ومعرفية في آنٍ معاً.

لا تأتي هذه المقدمة، إذن، بوصفها استعادة تأملية لنصّ سابق فحسب، بل بوصفها استجابة لضرورة أخلاقية يفرضها الحاضر ذاته، حاضر مثقل بأسئلة تتصل بفلسطين، وبالتجربة التاريخية للحركة الفلسطينية الأسيرة، وبالتحوّلات العميقة التي شهدتها هذه التجربة عبر عقود طويلة، وصولاً إلى اللحظة الراهنة التي دشنتها مرحلة الإبادة. لقد أفرزت هذه المرحلة تحوّلات نوعية لا نعيشها فحسب، بل نجد أنفسنا داخلها في مواجهة صعوبات معرفية ولغوية في آنٍ معاً، صعوبات تتصل بقدرتنا على استيعاب مستويات غير مسبوقة من العنف والتوحّش الاستعماري. وفي هذا السياق، يتسلّل العجز الطبيعي عن احتواء هذا العنف إلى وعينا وإلى قدرتنا على توصيفه ليصبح سؤال اللغة ذاته موضع مساءلة. وهنا تحديداً تبرز أهمية العودة إلى ما كتبه دقّة في مقدمة كتابه **صهر الوعي**، إذ "ليس هناك أشدّ وأقسى من أن يعيش الإنسان الإحساسَ بالقهر والعذاب دون أن يكون قادراً على وصفه وتحديد سببه ومصدره. إنّه الشعور بالعجز وفقدان الكرامة الإنسانية عندما يجتمع اللايقين بالقهر، فيبدو لك أن ليس العالم وحده قد تخلّى عنك، وإنما لغتك خذلتك في وصف عذابك وتعريفه".²

في هذا النص يؤسّس دقّة مقاربة عميقة لبنية التعذيب داخل ما يسميه السجن "الحدائوي"، حيث لا يُمارس العنف بوصفه فعلاً فجاً ومباشراً فحسب، بل بوصفه منظومة دقيقة من التقنيات التي تتسلّل إلى

الجسد والوعي معاً. فالتعذيب، كما يصفه، لا يأتي دائماً في صورة الضربة المباشرة أو الأداة الصاخبة، بل يتخذ أشكالاً أكثر خفاءً وانسياباً... ففي السجون "الإسرائيلية" تواجه تعذيباً يومياً يأتيك هادئاً متسللاً، لا يستخدم في الغالب هراوة ولا يقيم ضجة³.

غير أن التحولات التي شهدتها السنوات الأخيرة تشير إلى مسار مغاير. ففي العام 2021، ومع تصاعد هبة أيار،⁴ أعادت منظومة السجون "الإسرائيلية" تفعيل أساليب تعذيب بدت أقرب إلى تلك التي وثقتها شهادات الأسرى في أواخر الستينيات والسبعينيات.⁵ ومع هذه العودة، استحضرت من جديد ذاكرة السجون التي ارتبط اسمها بتاريخ التعذيب الجسدي والنفسي، بوصفها امتداداً مباشراً للبنية الاستعمارية التي ورثتها "إسرائيل" عن نظام الانتداب البريطاني، وكان أبرزها معتقل المسكوبية. وقد كشف ذلك، في حينه، أن التحول الذي طرأ على بنية التعذيب مع بداية انتفاضة الأقصى في العام 2000 حين جرى تطوير أساليب أكثر انسجاماً مع نموذج السجن "الحدائوي"، بدأ يتراجع تدريجياً، ليُفسح المجال أمام عودة أشكال أكثر فجاجة وبدائية من العنف.

إن استعادة دقة لبنية التعذيب في السجن "الحدائوي"، في ضوء التحولات التي سبقت مرحلة الإبادة بقليل، تتيح لنا إدراك المآلات التي وصلت إليها هذه البنية اليوم. فقد تحولت السجون "الإسرائيلية"، بوضوح متزايد، إلى فضاء تُمارس فيه الإبادة بوصفها سياسة منهجية عبر عمليات التدمير المتواصل لأجساد الأسرى وأرواحهم. وفي ظل هذا التحول، لم يعد السجن "الحدائوي" قادراً على الحفاظ حتى على أبقعه البيروقراطية والقانونية، إذ انهار أمام رغبة توخُّش متصاعدة تتنافس على توسيع حدود العنف الممارس بحق الأسرى.

وعندما بدأت روايات المعتقلين تكشف تدريجياً عن تحول السجون إلى أحد ميادين الإبادة، حملت هذه الروايات لغة خاصة، لغة فجّة ومباشرة، تنعكس أثارها حتى على صور الأسرى وأجسادهم وملامحهم. ومع ذلك، يجد المرء نفسه يعود مرة أخرى إلى دقة، حين وضع اللغة ذاتها موضع اتهام، إذ يشعر الأسير أن اللغة قد خذلت كما خذله العالم. فحين يبلغ العنف حدّاً معيناً، لا يعود العجز مقتصرًا على تمثيله سياسياً أو قانونياً، بل يمتدُّ إلى اللغة نفسها، التي تصبح عاجزة عن احتواء التجربة أو نقلها.⁶

صحيح أن طرح دقة ارتبط أساساً بمحاولته تفكيك بنية التعذيب داخل السجن "الحدائوي" كتعذيب غير مرئي، إلا أن استعادته ضرورة لفهم التحولات الهائلة التي فرضتها منظومة السجون "الإسرائيلية" على بنية التعذيب بعد الإبادة في السجن "الحدائوي"، بل وتكسيبها دلالة إضافية في سياق الكتابة عن مرحلة الإبادة. ففي مواجهة مستويات غير مسبوقة من العنف، يصبح فقدان اللغة جزءاً من بنية هذا العنف ذاته. ومن هنا تأتي هذه المحاولة بوصفها امتداداً لسلسلة من الجهود الفكرية التي سعت إلى فهم العلاقة العميقة بين اللغة والعنف، أو بين حدود التعبير وحدود التجربة عندما تبلغ المأساة أقصاها.

تُعَدُّ العلاقة بين اللغة وبنية العنف من أكثر الإشكاليات التي استحوذت على اهتمام الدراسات النقدية في السياقين الاستعماري وما بعد الاستعماري وحتى في العلوم الإنسانية المختلفة، إذ لم تقتصر هذه الدراسات على رصد اللغة بوصفها أداة تواصل، بل تجاوزت ذلك إلى الكشف عن وظيفتها الخفية بوصفها آلية من آليات الهيمنة والإخضاع والمحو الثقافي.⁷ ويُشكّل الإرث الفكري لفرانز فانون منطلقاً أساسياً لا غنى عنه في فهم الديناميكيات الكامنة في العلاقة بين اللغة والعنف الاستعماري، إذ أبرز فانون في مشروعه النقدي كيف تتحوّل اللغة داخل المنظومة الاستعمارية من مجرد وسيلة للتعبير إلى سلاح يعيد تشكيل وعي المستعمر وهويته، بل ويُحکم هيمنته على طريقة تفكيره وتصوّره للعالم.⁸ وفي امتداد طبيعي لهذه الرؤية النقدية، جاء مشروع إدوارد سعيد في كتابه الرائد *الاستشراق* ليُعمّق هذا التحليل ويُوّسع آفاقه، إذ كشف سعيد بمنهجية دقيقة عن الآليات الخطابية التي وظّف بها الغرب اللغة أداة لبناء صورة نمطية مُشوّهة عن الشرق. وأثبت أنّ الخطاب الاستشراقي لم يكن في جوهره توصيفاً معرفياً محايداً، بل كان ضرباً من ضروب "العنف المعرفي" الذي يُرسّخ علاقات القوة والتبعية، ويُعيد إنتاجها عبر أنساق لغوية وثقافية راسخة.⁹ وهنا أُشير بشكل أساسي إلى فانون وسعيد انطلاقاً من الضرورة لإعادة قراءتهما في سياق الإبادة الراهنة، كما حتمّ هذا السياق عليّ قراءة دقّة. وهنا أتخذ من هؤلاء الكتاب باباً لمحاولة فهم إشكالية "فقدان اللغة" في بنية العنف، وأتخذ من السجن الاستعماري "الإسرائيلي"، نموذجاً على فقدان اللغة، وانهيابها، أمام كثافة العنف، والعجز عن احتوائه، إلى جانب محاولة رصد العجز الحاصل في خطاب "حقوق الإنسان" عن توصيف "الألم". وهنا أستعين كذلك بطلال أسد وبخاصة تطويره لمفهوم "الألم والصمت" الذي يبيّن من خلاله عجز خطاب حقوق الإنسان في استيعاب المعاناة الإنسانية، وذلك كما طرحه في كتابه *تشكلات العلمانية في المسيحية، والحدائث، والإسلام*،¹⁰ وكذلك طرح جورجيو أغامبين، في كتابه *بقايا أوشفيتز*.¹¹

وبما أنّني سأأخذ في هذه المقالة السجن نموذجاً على معضلات هذه العلاقة، علاقة اللغة بالعنف في بنية السجن، والكيفية التي يتحوّل بها "فقدان اللغة" إلى واحد من أوجه عمليات الهيمنة الاستعمارية. فأجد نصوص الشهيد وليد دقّة ملجأً في محاولات فهم هذه الإشكالية، وتحديثها داخل بنية السجن، ومحاولة إنقاذ اللغة من الانهيار أمام كثافة العنف ومنها محاولة الهيمنة اللغوية الاستعمارية،¹² دون التقليل من أهمية محاولات العديد من الكتاب الآخرين. "اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل شكل من أشكال القوة، هيمنت عليها الصهيونية حتى صارت "فم الذئب" — وأداة للسيطرة الثقافية والمعرفية."¹³

اللغة أداة مقاومة موازية لساحة الفعل المادي استعادة التساؤل عن واقع اللغة في العنف: (السجن) نموذجاً

على مدار عقود، تعاملت الرواية الفلسطينية مع اللغة بوصفها أداة مقاومة وساحة اشتباك موازية لساحة الفعل المادي، من محمود درويش وغسان كنفاني حتى باسل الأعرج ورفعت العرعير، غير أنّ لحظة الإبادة المستمرة

كشفت تصدُّعاً أعمق، إذ لم تعد اللغة قادرة على احتواء ما يجري، لا لأن المفردات قليلة أو اللغة ضعيفة، بل لأنَّ بنية العنف نفسها صارت أوسع من أن تُحاصر داخل توصيف بعينه. وهذا، بطبيعة الحال، ليس استثناءً فلسطينياً، فكل تجربة استعمارية أنتجت ارتباكاً لغوياً أمام كثافة العنف، لكن خصوصية الحالة الفلسطينية اليوم تكمن في أنَّ العنف لم يعد حدثاً يمكن وصفه، بل صار نظاماً يعيد تشكيل اللغة ذاتها واللغة تسحب إلى ميدان منظم سلفاً، ويُحدِّد سقفها، ويُضعف لقواعده. في السجن تتجلَّى هذه المعضلة بأوضح صورها، فتجربة الأسرى ما قبل الإبادة وما بعدها لا تكشف فقط تصعيداً في مستوى العنف، بل تكشف كذلك انهياراً في القدرة على السرد. وهنا أتخذ من موقعيَّي المتمثَّلة عملي في مجال الأسرى، مساراً لبعض النماذج المرتبطة بفقدان اللغة أمام عنف السجن. فالعديد من الأسرى الذين عايشوا تجربة السجن بعد الإبادة، كزُّروا خلال الإدلاء بإفاداتهم عبارة: "لا توجد لغة تسعفنا لوصف ما جرى". ليست هذه استعارة عاطفية، إنَّها توصيف دقيق لحالة فقدان، والعجز، فحين يصبح الألم لحظياً، ومنهجياً، ومقصوداً في تفاصيله الدقيقة، تتحوَّل اللغة إلى أداة قاصرة، بل إلى وسيط مخفَّف للعنف بدل أن يكون كاشفاً له، أو بالأحرى نجد هنا محاولة "لعقلنة العنف".¹⁴

في هذه الحالة، إذن، لم يعد السؤال في التجربة الفلسطينية كنموذج ممتداً إلى شعوب واجهت وتواجه النظام الاستعماري الاستيطاني: كيف نصف العنف؟ بل: ماذا يحدث للغة عندما يصبح العنف هو البنية ذاتها؟ وهنا أستحضر مثلاً من سياسات المركزية في بنية السجن "الإسرائيلي" حول إمكانية توصيف "الحرمان من العلاج" بكونه جريمة طبية، فهذا وصف قانوني واضح، لكن ماذا يعني فعلياً في سياق تجربة الأسرى الفلسطينيين في السجن بعد الإبادة؟ لقد أصيب آلاف من الأسرى بمرض الجرب (السكابيوس) نتيجة الاكتظاظ والعقوبات الجماعية وانعدام شروط النظافة: حكة متواصلة لأشهر، ودمامل تغطِّي الجسد، وقيح يتسرَّب من الجلد، ونوم مستحيل، وألم لا ينقطع. بعضهم تجاوزت إصابته ستة أشهر دون علاج. لكن أين يختفي في هذه العبارة واقع الجسد الذي يتحلَّل ببطء؟ أحد الأسرى قال: "كان السجَّانون يصفوننا بالزومبي بعدما غطَّت الدماامل أجسادنا، وبدأت تخرج منها مادة خضراء."¹⁵ اللغة هنا لا تنقل الألم فقط، بل تكشف عملية تجريد كاملة من الإنسانية، فيها يتحوَّل الجسد المريض إلى مادة "للسخرية". يتحوَّل الألم إلى مشهد، ويتحوَّل الأسير إلى كائن خارج تعريف البشر، وتعجز اللغة مجدداً عن وصف الألم الكامن في جسد الأسير.¹⁶

وفي إفادة أخرى نقلها محام عن أسير من غزة، يقول فيها: "لكي يكسرونا، جلبوا معتقلاً وصلبوه، ثم أدخلوا عصاً في فتحة شرجه واغتصبوه أمامنا، وكلما صرخ حركوه أكثر حتى بدا لنا أنه يخنق."¹⁷ معتقل آخر جاء في إفادته ما يلي: "اعتقلت في كانون الأول/ ديسمبر 2024، عبر حاجز "الإدارة المدنية"، وتعرَّضت للضرب المبرِّح، وتم تجريدي من ملابسي. أخبرني المحقق أنَّ جيش الاحتلال قتل جميع أفراد عائلتي، ما سبب لي أزمة نفسية حادة دفعتني لمحاولة الانتحار داخل الزنزانة، لولا تدخل زملائي. خلال زيارتي، أخبرني المحامي أنَّ عائلتي بخير، فانهرت بالبكاء، ولم أصدِّق ما سمعته."¹⁸

وهذه إفادة أخرى، يقول صاحبها الغزّي "تعرّضت للاعتقال في شهر تشرين الثاني، عبر ما يسمى بـ'الممر الآمن'، خلال عملية نزوح من الشمال إلى الجنوب، وقد تعرّضت للضرب المبرّح بعد الاعتقال، والذي تركّز على المناطق الحسّاسة، حتى تعمّدوا سحبي من شعر جسدي بطريقة مؤذية ومذلّة، وأنا مقيد ومعصوب العينين. وبعد نقلي إلى أحد المعسكرات في 'غلاف' غزة إلى جانب العديد من المعتقلين، كنا نتعرّض لعمليات تعذيب على مدار الساعة، حيث قام أحد السجّانين بربطي مدة ثمانية أيام من الخلف، وتعرّضت للضرب على ظهري حتى نزل الدم من جسدي. هذا عدا الإهانات وعمليات الإذلال الممنهجة بكل الطرق والأساليب. ففي المرحلة الأولى كان الأسرى يضطرونّ لقضاء حاجتهم في ملابسهم، وكنا نواجه العطش والجوع، ففي تلك المرحلة كان الطعام عبارة عن ثلاث قطع من الخبز، وجميع المعتقلين في المرحلة الأولى أصيبوا بكسور وجروح بليغة، ولم نلتق أيّ علاج.¹⁹

كيف يمكن أن تُصنّف ما تضمّنته هذه الإفادات غير المنتهية؟ تعذيب؟ جريمة حرب؟ جريمة ضدّ الإنسانية؟ نعم، هي كلّ ذلك. لكنّ اختزالها في تصنيف قانوني يحولها فعلياً إلى بند في تقرير، ويكشف أكثر أنّ محاولة ضبط هذه اللغة في قوالب، صمّمتها منظومة حقوق الإنسان، تضعنا في تساؤل ومأزق حقيقي يكمن في أنّ لغة حقوق الإنسان، التي يُفترض أن تكون أداة فضح، تتحوّل فعلياً إلى إطار ضبط.²⁰ إنّها تضع شروطاً لما يُعتبر تعذيباً، ومعايير لما يُثبت كجريمة، ومحدّدات لما يُعترف به دولياً. وبدلاً من أن تتّسع اللغة لكثافة العنف، يُطلب من العنف أن ينضبط داخل اللغة. هكذا لا نفقد اللغة فقط لأنّ الألم كبير يتجاوز قدرة الإنسان على استيعابه، بل لأنّ الخطاب المهيم يعيد هندسة الألم ليصبح قابلاً للإدارة، ومقبولاً. "إنّ التجربة القصوى للإبادة تُنتج مفارقة: فالشهادة ضرورية، لكنّها في الوقت نفسه مستحيلة بالكامل لأنّ ما حدث يتجاوز قدرة اللغة على التمثيل."²¹

في مجموعة تقارير حقوقية خرجت تحت عناوين تحمل مفردات تبدو أنّها سقف يمكن به أن نتجاوز حالة الضبط التي يفرضها خطاب حقوق الإنسان. ومن النماذج على ذلك: "أهلا بكم في باب جهنّم"،²² و"جهنّم على الأرض"،²³ و"الخارجون من القبور"²⁴... لكن داخل المتن يعود كل شيء إلى: "معاملة قاسية ولا إنسانية"، و"انتهاك للمعايير الدولية"، و"مخالفات جسيمة". المفارقة أنّ هذه اللغة، التي تبدو "عقلانية ومحايّدة"، تشارك—من حيث لا تريد—في تنظيم العنف. فهي لا تكسره، بل تضعه في قوالب قابلة للاستيعاب، وتحوّله من تجربة مزلّلة إلى ملف قانوني. ففقدان اللغة هنا ليس عرضاً نفسياً، ولا نتيجة صدمة،²⁵ فحسب.²⁶ إنّ أثر بنيوي لعنف يُنتج عجزه التعبيري بنفسه. عندما يقول الأسير إنّ اللغة لا تسعفه، فهو لا يعلن عجزه الفردي، بل يشير بشكل أو بآخر إلى حدود الخطاب ذاته، وإلى أنّ ما يجري يتجاوز المعجم المتاح أو معجم السلطة المهيمنة. كما ويشير إلى أنّ هناك فجوة بين التجربة والقول، فجوة ليست لغوية فقط، بل سياسية وأخلاقية. السؤال هنا إذن ليس: كيف نصف العنف؟ بل: كيف نكسر اللغة التي تنظّمه؟ وهل يمكن إنتاج لغة لا تُدار من داخل المنظومة ذاتها، لغة لا تكتفي بتصنيف العنف كجريمة، بل تفضح البنية التي تجعلها ممكنة ومتكرّرة ومشروعة؟ ففي السجن (كنموذج)، لا يُقمع الجسد وحده، بل تُقمع القدرة على الفهم، وعلى السرد، وعلى تسمية ما يحدث. وحين تصل اللغة إلى حافّتها، لا يعني ذلك أنّ العنف أصبح بلا اسم، بل أنّ اسمه أصبح أكبر من أن يُحتوى أو أن يُوصف.²⁷

إنَّ فقدان اللغة لا يطرح سؤالاً عابراً، بل يفتح أمامنا سيلاً من الأسئلة الكبرى، أسئلة ينبغي أن تدفعنا إلى تأملها والسعي لفهمها، أكثر من استعجال الإجابة عنها. فالمسألة ليست بحثاً عن ردِّ جاهز، بل محاولة لكسر القوالب الجامدة التي تُصدر المعنى، وابتكار لغةٍ أخلاقية لا تتحلل أمامها إنسانيتنا ولا تُختزل. فعندما تصبح كلمة "إبادة" متداولةً بسهولة في معجم السلطة، ونجد أنفسنا نخوض معركةً لإقناع العالم بأنَّ ما يجري هو إبادة فعلاً، ثم تتحوَّل هذه الكلمة إلى مسار عملٍ إيجابيٍّ بارد، بينما نفق عاجزين عن وقفها... وحين تُختزل الإبادة لاحقاً في سرديات الأرقام، ويُناقش التعذيب ضمن محدّدات القوالب الحقوقية، ويُحوَّل الإذلال اللحظي إلى مجرد "انتهاك"—عندها لا يكون فقدان اللغة عجزاً ذاتياً أو أثراً نفسياً فحسب، بل نتيجة لهيمنة خطابٍ عقلائيٍّ مُخفَّف، يُعيد تشكيل العنف والألم اللحظي بما يخدم منطقَه، ويفرغه من بعده الأخلاقي.²⁸ هنا يفرض السؤال نفسه بإلحاح: كيف نقل رواية أسير دون أن نحولها إلى مادة باردة، منزوعة من إنسانيتها؟ كيف نحمي المعنى الكامن في الألم اللحظي الذي يعيشه الأسير، ونصونه من الاختزال؟ وكيف نكسر البنية الخطابية التي تجعل العنف قابلاً للتقبُّل، ومحمّلاً، بل وممكناً؟

نموذج آخر عن فقدان اللغة مجدداً السردية الرقمية (كلغة) والمأزق الأخلاقي والإنساني

في مقال سابق لي في الجنوب: *المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية*،²⁹ تناولت السردية الرقمية في الكتابة عن الأسرى في السجن الاستعماري الاستيطاني "الإسرائيلي"، والإشكاليات التي ارتبطت بهذا الجانب منذ بدء الإبادة، وإمكانية محاصرة العنف من خلال الأرقام. وتشكَّل تلك السردية واحدة من الأوجه التي عكست "فقدان اللغة". ويتمُّ الاعتماد على تلك السردية باعتبارها أداة نجاة من العجز، في وصف العنف الحاصل في السجن، أو في محاولة الكتابة عن الأسرى. إلا أنَّ هذا الملجأ يضعنا في مأزق أخلاقي وإنساني من خلال التجريد الواقع والكامن في محاولة لعكس مستوى التوحُّش والعنف الذي تمارسه منظومة الاستعمار "الإسرائيلي". وأحد أبرز بني العنف، "السجن" كأحد ميادين "الإبادة". وهنا استحضر عدداً من الشهداء الأسرى منذ بدء الإبادة، والذي تجاوز عددهم المئة، حيث أُعلن عن هويَّات 88 منهم،³⁰ بينهم طفل واحد. هذا المعطى المجرد، هو واحد من أبرز تلك التمثُّلات الواقعة في السردية الرقمية المرتبطة بقضية الأسرى. فكيف يمكن للغة محاصرة "عمليات التعذيب بما في هذه الكلمة من تجريد كذلك، وتحلُّل الأجساد بفعل المرض والجوع"³¹ بما في كل مفردة من كثافة للعنف، وما يرافق ذلك من كثافة للألم اللحظي الذي عاشه كل أسير قبل استشهادِه! وهنا مجدداً، نجد أنَّ الإشكال ليس أنَّ اللغة ضعيفة، بل أنَّ العنف أصبح أوسع وأكثر كثافة من إمكانية أن تجد اللغة معجماً لاستيعاب حجم العنف، وأنَّ فقدان اللغة يكشف عن حدود الإنسان أمام العنف الذي يحوِّل التجريد نموذج (السردية الرقمية) شرطاً لاستمراره.

إنَّ محاولة استعادة التساؤل حول فقدان اللغة في بنية العنف، ولا سيَّما في زمن الإبادة، ليست سوى حجر صغير يُلقى في أساع عالم فقدان الذي تخلفه الإبادة. ففي هذا الواقع الثقيل، لا يقتصر الفقد على الجسد والمكان والذاكرة،

بل يمتدُّ ليطال اللغة ذاتها، حيث تُستهدف الكلمات كما تُستهدف الوقائع، وتعرض القدرة على التسمية والفهم لعملية محو منهجية تُفرغ التجربة الإنسانية من قابليتها للسرد والمعنى في بنية العنف. وهنا يغدو السؤال عن اللغة سؤالاً عن الوجود ذاته: كيف يمكن إنقاذ اللغة كي لا تضع سرديتنا، وكي لا تتحوّل الذاكرة إلى فراغ تُعيد بنية العنف تشكيله وفق هندستها الخاصة؟ إنَّ استعادة اللغة وإنقاذها، في هذا السياق، ليست مجرد فعل تعبير، بل فعل مقاومة معرفية وأخلاقية، يعيد للإنسان حقّه في الشهادة، ويحفظ للمعنى إمكان ظهوره في مواجهة المحو والإبادة

الإحالات

- [1] نادي الأسير الفلسطيني، "وليد دقّة: سيرة طويلة من النضال والتضحية"، 25 تموز 2024، شوهد في 28 شباط 2026.
<https://www.ppsmo.ps/home/studies/15160?culture=ar-SA>.
- [2] وليد دقّة، صهر الوعي أو في إعادة تعريف التعذيب (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، 2010)، 19.
- [3] المصدر نفسه، 21.
- [4] نادي الأسير الفلسطيني، "تقرير حقوقي عن شهر أيار/ مايو 2021"، شوهد في 28 شباط 2026.
<https://www.ppsmo.ps/home/studies/13?culture=ar-SA>.
- [5] للمزيد، يمكن الاطلاع على روايات عائشة عودة التي توثق تلك المرحلة: أحلام بالحرية (رام الله: مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2004): ثمناً للشمس (رام الله: مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2012); وكتاب المحامية فليبتسيا لانغر، أولئك إخوتي (القدس: منشورات صلاح الدين، 1976).
- [6] دقّة، مصدر سبق ذكره، 20.
- [7] فرانز فانون، معدّبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي (بيروت: دار الطليعة، 1981)، 45-46.
- [8] _____، بشرة سوداء، أفنعة بيضاء، ترجمة خليل أحمد خليل (بيروت: دار الفارابي، 2004)، 19-44.
- [9] إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981).
- [10] طلال أسد، "تشكلات العلمانية في المسيحية، والحداثة، والإسلام"، حكمة، 11 كانون الثاني 2021، شوهد في 28 شباط 2026.
<https://hekma.org/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%A3%D8%B3%D8%AF/>.
- [11] Giorgio Agamben, *Remnants of Auschwitz: The Witness and the Archive*, trans. Daniel Heller-Roazen (New York: Zone Books, 1999).
- [12] عبد الرحيم الشيخ، "مورفولوجيا فم الذئب: وليد دقّة 1961-2021"، عمران، العدد 39 (2022): 173-210.
- [13] المصدر نفسه.
- [14] للمزيد انظر: ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ترجمة علي مقلد ومطاع صفدي (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990).
- [15] إفادة من الأسير المحرّر مرشد الشوامرة، مقابلة أجراها نادي الأسير الفلسطيني، تشرين الأول 2024.

- [16] وارد بدر سالم، "عن صنع العالم وتفكيكه في الجسد المتألم"، 15 شباط 2024، شوهد في 1 آذار 2026.
<https://url-shortener.me/HXB7>.
- [17] "إفادات مروعة لمعتقلين من غزة في سجن النقب ومعسكر عوفر"، وكالة وفا، 23 نيسان 2025، شوهد في 1 آذار 2026.
<https://wafa.ps/Pages/Details/119706>.
- [18] نادي الأسير الفلسطيني، وهيئة شؤون الأسرى، "شهادات لمعتقلي غزة"، 24 تموز 2025، شوهد في 2 آذار 2026.
<https://www.ppsmo.ps/home/studies/17598?culture=ar-SA>.
- [19] نادي الأسير الفلسطيني وهيئة شؤون الأسرى، "شهادات لمعتقلي غزة"، 24 أيلول 2024، شوهد في 2 آذار 2026.
<https://ppsmo.ps/home/studies/15430?culture=ar-SA>.
- [20] أسد، مرجع سبق ذكره.
- [21] Agamben, op.cit., 34.
- [22] "أهلا بكم في جهنم: تحول السجون الإسرائيلية إلى شبكة من معسكرات التدريب"، بتسيلم، آب 2024، شوهد في 2 آذار 2026.
https://www.btselem.org/arabic/publications/202408_welcome_to_hell.
- [23] "جهنم على الأرض"، بتسيلم، كانون الثاني 2026، شوهد في 2 آذار 2026.
https://www.btselem.org/arabic/publications/202601_living_hell.
- [24] "المحررون أصحاب الأحكام العالية: خرجنا من قبور الاحتلال"، القدس العربي، 26 كانون الثاني 2025، شوهد في 2 آذار 2026.
<https://url-shortener.me/HXBZ>.
- [25] مراد عمرو، التمثيل النفسي للمصدم الفلسطيني في الأراضي المحتلة الفلسطينية منذ العام 1967 (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2020)، 51. رسالة ماجستير.
- [26] للمزيد انظر: فانون، معذبو الأرض، مصدر سبق ذكره، 239-294.
- [27] سالم، مصدر سبق ذكره.
- [28] للمزيد انظر: أسد، مصدر سبق ذكره.
- [29] أماني سراحنة، "الكتابة عن واقع الأسرى في زمن الإبادة"، المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية، العدد 1 (2025): 163-180.
- [30] "الإعلان عن استشهاد المعتقل حاتم ريان، الرقم 88 من شهداء الحركة الأسيرة بعد الحرب"، وكالة وفا، 12 شباط 2026، شوهد في 4 آذار 2026.
<https://url-shortener.me/HY54>
- [31] مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، "تقارير خاصة بالأسرى بعد الإبادة"، شوهد في 5 آذار 2026.
<https://addameer.ps/ar/publications/reports>.